

الأسرة الجزائرية بين تأثير المعتقدات الدينية و الثقافية و القيم الحداثية

دراسة أنثروبولوجية على بعض الأسر بمدينة تلمسان أنموذجا

The Algerian Family between the influence of religious and cultural beliefs and modern values

An anthropological study on some families as model

علايوية حسبيبة^{1*}

¹ جامعة تلمسان - الجزائر -

amirasarah98@yahoo.fr

بلمكي فتيحة²

² جامعة تلمسان - الجزائر -

belmekki_s@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2020/06/17

تاريخ الاستلام: 2020/03/09

ملخص:

سنتناول في هذا المقال موضوع الأسرة الجزائرية كمؤسسة اجتماعية تربوية و قضية الصراع القائم بين القيم التقليدية و القيم الحداثية في عملية التنشئة الاجتماعية. فإنتماء الأسرة كمؤسسة اجتماعية إلى الثقافة الجزائرية التقليدية، دفعنا إلى البحث عن رصد بعض المعتقدات الدينية و الثقافية كإحدى العوامل الأساسية و تأثيرها في تشكيل هوية الأسرة الجزائرية من جهة. و من جهة أخرى معرفة التحديات التربوية التي تواجهها في عملية التنشئة الاجتماعية و التي تفرضها الحداثة الغربية و قيمها الوافدة إلينا.

الكلمات المفتاحية: الثقافة التقليدية، المعتقدات الدينية، القيم الحداثية، الأسرة الجزائرية، الهوية.

Abstract:

In this article, we attempt to treat the theme of Algerian family as a social and educational institution and the issue of the conflict between traditional and modern values through the process of socialization. The belonging of the family as a social institution to the traditional Algerian culture led us to search for some religious and cultural beliefs as one of the main factors and their impact on forming the identity of the Algerian family on the one hand; and on the other hand, knowing

* المؤلف المرسل علايوية حسبيبة، الايميل: amirasarah98@yahoo.fr

the educational challenges that it through the socialization process imposed by western modernity and its values.

Keywords: Traditional culture; Religious beliefs; Modern values; Algerian family; Identity.

مقدمة:

تعتبر الجزائر من الدول التي كان لها طموح كبير إلى الوصول لمستوى الدول الصناعية وتحقيق التحول من التقليد (الجماعة) إلى الحداثة (المجتمع)، خاصة بعد احتكاكها الأول بالمجتمع الغربي من خلال الاحتلال الفرنسي (1830-1962) و الذي كان له دور كبير في التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري عبر تفكيك بنياته التقليدية (القبيلة). و باعتبار الأسرة من أهم الوحدات البنائية المكونة للمجتمع، أكيد أنها، هي الأخرى بشكل أو بآخر، تأثرت بهذه التغيرات حيث أصبحت في مواجهة تحديات جديدة، خاصة بعد عملية التصنيع و التحضر التي شهدتها المجتمع الجزائري بسبب تأثره بالحداثة الغربية. فكيف إذن أثرت الحداثة في الأسرة الجزائرية؟

أولا: مدخل في تحديد المفاهيم:

1 الثقافة التقليدية:

تعود جذور كلمة culture إلى اللفظ اللاتيني culture و تعني حراثة الأرض و زراعتها. وقد أطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية Cultes. أما في اللغة العربية فتعود جذورها إلى الفعل ثقف أي هذب. أما اصطلاحا فقد اعتمدنا مفهوم إدوارد برانت تايلور سنة 1871 الذي قدم تعريفا شاملا للثقافة بقوله أن: " الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يشتمل على المعرفة، و الإعتقاد و الفن و الأخلاق والقانون والعرف والعادات وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع". (محمد علي محمد، 1987، ص71) أما الثقافة التقليدية فنقصد بها تلك القيم و المعايير و العادات و التقاليد والأعراف القديمة التي ورثها أفراد المجتمع عن الأجداد و الآباء.

2 الثقافة الحداثية

هي تلك القيم و المعايير الجديدة الناتجة عن عملية الانتشار الثقافي بسبب احتكاك المجتمعات ببعضها البعض. و بالخصوص إنتشار القيم الحداثية الغربية في المجتمع الجزائري.

3 المعتقدات الدينية

تشمل المعتقدات الدينية كل الأفكار و المبادئ التي مصدرها الدين. و يعتبر ميشيل مايير أن الدين هو مجموع العقائد و الوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله و مع الناس و في حق أنفسنا (عبد الله الخريجي، 1990، ص34). أي العقائد التي تنظم علاقتنا مع الخالق و علاقاتنا مع بعضنا البعض.

4 التنشئة الاجتماعية

وردت في معجم غرافيتس بأنها العملية التي من خلالها يتم إدماج الأفراد في مجتمع معين. فيستوعبون القيم و المعايير و القواعد الرمزية، و يعملون على تعلم الثقافة بشكل عام بفضل العائلة والمدرسة و كذا اللغة و البيئة. إذن تتمثل التنشئة الاجتماعية في مختلف عمليات الاكتساب و التشكيل والتغير التي يخضع لها الفرد في تفاعله مع الآخرين داخل الجماعة. أي هي عملية اكتساب الثقافة من قيم و معايير وعادات وتقاليد، يبنى من خلالها الفرد هويته الثقافية. (خواجة عبد العزيز، 2005، ص14)

ثانيا: الأسرة الجزائرية و المعتقدات الدينية و الثقافية

1 رصد لبعض المعتقدات الدينية و الثقافية:

إن الدين ظاهرة سماوية، ودعوة إلهية جاءت لإصلاح مسيرة البشر في معرفة الإله والارتباط به، كما أنه في الوقت نفسه ظاهرة وجدت في تركيب اجتماعي تؤثر في المجتمع وفي أفرادها، فهو يشكل الثقافة السائدة أو يعدها، ويمتزج بها فتصبح متضمنة لقيمه وأفكاره واتجاهاته. تتمثل الوظيفة الرئيسية للدين في توحيد أفراد الجماعة أو المجتمع عن طريق الاشتراك بنفس المعتقدات والطقوس. و هذا ما يحقق تضامنا اجتماعيا عاليا و اندماج الفرد داخل المجموعة.

يعمل الدين على التنشئة الاجتماعية و كوسيلة ضبط اجتماعي من خلال النواهي التي تحث عليها القيم الدينية. بالإضافة إلى الدور الكبير الذي يقوم به في نشر الأخلاق الدينية من خلال المؤسسات الدينية (المسجد). كما أن النظام الاجتماعي ينبثق من المعتقدات الدينية خاصة بالنسبة للمجتمعات البدائية البسيطة. حيث ينظم الدين كل وجود فردي أو جماعي، و يحتل كل الفضاء الاجتماعي. (Pierre

Bouvier, 2009, page 119) كذلك يساعد على الشعور بالانتماء إلى الجماعة وتحديد الهوية الدينية لأفرادها، بالتالي ضمان استمرار و تماسك المجتمع. و تختلف درجة تأثير الدين بين المجتمعات التقليدية (البدائية) و المجتمعات الحديثة نظرا للاختلاف القائم بينهما. و نظرا لارتباط الأخلاق بالدين

فقد طرح دوركلم تساؤلا عن مصير تلك الأخلاق المثالية في ظل المجتمع الحديث. فيرى أن الدين يحتل مساحة أضيق في المجتمعات الحديثة. حيث أن المجتمع الحديث مجتمع تداهم مجموعة من القيم المنفتحة القائمة على التعددية و التغير و الحرية. و بسبب الحداثة و التطور التكنولوجي السريع صارت كل المجتمعات مُتحرقة بالأشكال الحديثة للإنتاج و الاستهلاك و الاتصال و بقيم جديدة و متغيرة. مما أدى إلى تقلص وظائف الدين مثل وظيفة الضبط الاجتماعي التي أصبحت من مسؤولية المؤسسات القانونية. فأفراد المجتمع يحكمهم القانون و يحدد علاقاتهم مع بعضهم البعض، و تجمع بينهم المصلحة المتبادلة. للدين الإسلامي مصدران أساسيان هما: القرآن (الوحي المنزل على النبي محمد) و السنة النبوية (كل قول و فعل صدر عن النبي محمد). كما تنقسم القواعد و التعاليم الدينية الإسلامية إلى قسمين: عبادات و معاملات. تتمثل العبادات في القواعد و القيم التي تنظم علاقة الفرد بالله، أما المعاملات فهي كل القواعد التي تنظم العلاقة بين الأفراد بعضهم ببعض.

2 أثر المعتقدات الدينية و الثقافية في الأسرة الجزائرية

يعتبر الدين الإسلامي مصدرا أساسيا للأخلاق من خلال الأوامر و النواهي و الخصال التي يدعو إليها. وهنا تتجلى طاعة الله عبر طاعة أوامره التي جاءت في القرآن الكريم. فقد دعا الإسلام إلى حسن الخلق و جعل الأخلاق الفاضلة سببا تنال به الجنة حيث يقول الله تعالى: « سارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السموات و الأرض أُعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء و الضراء و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين». (سورة آل عمران، الآية 133-134) و يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». (أبو بكر جابر الجزائري، 1964، ص140) و من بعض الأخلاق الحسنة التي يدعو إليها الإسلام نجد: الحياء الذي يدفع المؤمن إلى الطاعة فمن يستحي من الخالق لا يقصر في طاعته. يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: « الإيمان بضع و سبعون أو بضع و ستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله و أدناها إمالة الأذى عن الطريق، و الحياء شعبة من الإيمان». (أبو بكر جابر الجزائري، 1964، ص145) و بما أن الحياء نقيض البذاء و البذاء هو القول الفاحش فإن المسلم لا يجب أن يكون كلامه بذيثا أو فاحشا. كذلك يدعو الإسلام إلى عدم الغش و التوكل على الله و الاعتماد على النفس في قوله تعالى: « و على الله فليتوكل المؤمنون» (سورة التوبة، الآية 51) فالمسلم يُعَد للأعمال أسبابها المطلوبة بمجهود أما الحصول على

النتائج فيكون بالتوكل على الله و ليس بالغش لقوله صلى الله عليه و سلم: « من غشنا فليس منا » (رواه مسلم).

رغم محاولة المستعمر بكل الطرق و الوسائل نحو مقومات المجتمع الجزائري و بالخصوص الدين الإسلامي الذي كان يمثل الرابط القوي الذي ساهم بشكل فعال في وحدة الشعب الجزائري من أجل مقاومة الاستعمار و تحرير البلاد. فرغم كل تلك المحاولات التي عملت على إضعافه إلا أنه عاد للظهور بشكل واضح مباشرة بعد خروج الاستعمار من الجزائر. و إلى يومنا هذا لا زال الشباب الجزائري متأثرا بالقيم الإسلامية و هذا ما لاحظناه من كثرة ممارسة الطقوس الإسلامية لدى الشباب. و ذلك بسبب التنشئة الاجتماعية انطلاقا من الأسرة إلى المؤسسات الأخرى كالمسجد و الزوايا ومؤسسات أخرى كوسائل الإعلام و الاتصال التي أصبحت محل اهتمام كبير من طرف فئة الشباب. و هذا ما دفع الدعاة الإسلاميين و رجال الدين إلى استغلال هذه الوسائل على اختلاف أنواعها في نشر أفكارهم و حشد الكثير من الشباب حولهم نظرا لسرعة تأثيرها و عالمية بثها مقارنة بالوسائل القديمة كالكتب و حلقات الدروس و الوعظ. و بالنسبة للأبناء فهويتهم من الناحية الدينية تتمثل في الهوية الدينية الإسلامية. فقد تشكلت لديهم مجموعة من التمثلات عن الإسلام و مدى أهميته و قداسته رغم مؤثرات الحداثة التي تفرض عليهم مبادئ مثل العقلانية، و الفردانية، و الحرية و رغم التغير الاجتماعي السريع الذي يميز المجتمعات المعاصرة خاصة التغير الاقتصادي الصناعي الناتج عن التقدم التكنولوجي. أي أن التغيرات السريعة لم تؤثر على الأبناء في تشكيل هويتهم الدينية.

ثالثا: الاسرة الجزائرية و قيم الحداثة

1 رصد لبعض قيم الحداثة الغربية الوافدة

لقد ظهرت الملامح الأولى للحداثة في المجتمع الغربي. و لقد تمت على مراحل ومستويات مختلفة (دينية، فكرية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية) ولمدة ثلاث قرون تقريبا. حيث بدأ الإنسان الأوروبي يتحرر من سيطرة الجماعة تدريجيا إلى أن أصبح فردا حرا وموطنا له حقوق وواجبات. ولم يتأتى ذلك تلقائيا بل إراديا عن طريق ثورات معرفية وتكنولوجية. أي بفضل عدة جهود وتضحيات كبيرة استطاع المجتمع الغربي الوصول إلى الحداثة الذي هو عليها اليوم. تركز أولا على مبدأ الفردنة (Individualisation) و التي تعني «انتصار الذات ورؤية ذاتية للعالم» (فراح مسرحي، 2006، ص37) أي تحرير الذات من سيطرة

الدين و الجماعة ليصبح الفرد واعيا مستقلا يسير وفق معايير نفعية. حيث بدأ الإنسان الأوروبي يتحرر من سيطرة الجماعة تدريجيا إلى أن أصبح فردا حرا ومواطن له حقوق وواجبات. ولم يتأتى ذلك تلقائيا بل إراديا عن طريق ثورات معرفية وتكنولوجية.

أما بالنسبة للمجتمع الجزائري، فقد جاء التطور الحضاري مفروضا وليس إراديا أي لم يكن تطورا ذاتيا (Autonome) من طرف «قوة جاذبة وخارجية ذات طبيعة سياسية واقتصادية وثقافية» (عبد الله حمودي، 2015، ص 35) تتمثل في الاستعمار. فمنذ دخوله عام 1830 اعتمد الاستعمار الفرنسي سياسات عديدة مختلفة لإخضاع الشعب الجزائري والتي أثرت بشكل كبير وواضح على البنيات التقليدية للمجتمع الجزائري. حيث قام بنزع الملكية الجماعية (التي يقوم عليها المجتمع التقليدي) بإرغام الجزائريين على بيع أراضيهم للمعمرين و اقرار الملكية الفردية وتوطين الأوروبيين في العشيرة (مصطفى الأشرف، 2007، ص 14). مما أدى إلى تقسيم التجمعات القبلية (العروش) إلى قبائل ثم إلى أفراد، وتفككت القاعدة الاجتماعية (العروش، الزراعة) للمجتمع الجزائري. وهكذا تم خلق الفرد الجزائري عن طريق الملكية. بحيث انتقل الفلاحون الذين فقدوا أملاكهم إلى المدينة والعمل في المصنع كشكل جديد عليهم. ثم النزوح الريفي الذي حدث بعد الثورة التحريرية وبعد الاستقلال (1962) إضافة إلى الثورة الزراعية التي كانت أحيانا سببا في النزوح الريفي ثم الثورة الصناعية التي ساهمت في نمو المدن الجزائرية وخلق شبكة كبيرة من المدن الصناعية. (محمد بومخلوف، 2001، ص 133) كذلك بعد سنة 1989 ازداد النزوح الريفي بسبب الظروف الأمنية الصعبة التي شهدتها الجزائر خلال سنوات التسعينات... وإلى يومنا هذا لا يزال النزوح الريفي مستمرا سواء بسبب السياسات التي اعتمدتها الدولة أو الانبهار بالحياة الحضرية نظرا لضعف المستوى المعيشي للأسر.

2 تأثير قيم الحداثة على الأسرة الجزائرية

إن كل هذه التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الاستعمار إلى يومنا هذا قد أثرت بشكل كبير على الأسرة الجزائرية من حيث بنائها و وظائفها التي كانت تتصف بها في الماضي. و هذا ما توصل إليه الهواري عدي في دراسته عن الأسرة الجزائرية، إذ أنه أكد على حدوث تغييرات في أشكال التنظيم داخل الأسرة و في العلاقات بين مختلف الجماعات الأسرية بسبب التحضر. حيث يعيش الفرد في ضغط بين الشروط السوسولوجية للفردانية و العائلة النووية و بين مخياله الاجتماعي

المتمثل في الثقافة الأبوية و الهوس بامتداد النسب. (Lahouari Addi, 1999, page 17-18). كذلك من بين نتائج التحولات الاجتماعية على البنية الأسرية في الوسط الحضري والتي توصل إليها مصطفى بوتفنوشت، تقلص حجم العائلة الكبيرة و ظهور نوع من الأسرة الصغيرة بسبب ضيق السكن، الاقتصاد (العمل بأجر بالتالي استقلالية الأبناء عن الآباء). (مصطفى بوتفنوشت، 2007، ص 328) بالتالي فالأسرة الحضرية هي أسرة نووية. لكن انتشار الأسرة النووية في المدينة لا يلغي وجود بعض الأسرة الممتدة التي رغم ظهورها كبنية تقليدية في الوسط الحضري إلا أنها في حقيقة الأمر مخلخلة و ليس لها نفس الخصائص التقليدية التي كانت تبدو عليها سابقا، كالعمل الجماعي و الاعتماد على الزراعة. وذلك نتيجة للضغوط الاقتصادية التي تعيق الأبناء عن الاستقلال في مسكن خاص بعد الزواج. وليس بسبب المخيال الاجتماعي التقليدي (الهوس بامتداد النسب). إذن فقد تقلصت الأسرة الممتدة إلى أسرة نووية تماشيا مع المتطلبات الحضرية لمجتمع المدينة، وهذا التحول في بنية الأسرة أثر أيضا على وظائفها. التي تقلصت وأصبحت تقوم بها مؤسسات أخرى كالمصنع، المؤسسات الثقافية،... بحيث اقتصر على الوظيفة البيولوجية (تنظيم السلوك الجنسي، الإنجاب) والوظيفة التربوية التي أصبحت تتضمن فقط التنشئة الاجتماعية الأولية، أما بالنسبة للضبط الاجتماعي الذي كان يمارس بشكل فعال من خلال الأسرة القرابية. فقد بدأ في التراجع بسبب الطبيعة الاجتماعية والجغرافية للوسط الحضري (اتساع مساحة المدينة وكثرة السكان...) ولهذا فقدت الأسرة قدرتها على الضبط الاجتماعي. الذي أصبح من مسؤولية الدولة (عن طريق سلطة القانون) وأخذ صفة الرسمية (ضبط اجتماعي رسمي). وتناقصت سلطة أبناء العم التي كانت تميز الأسرة التقليدية. وفيما يخص الوظيفة الاقتصادية فهي الأخرى تغيرت من الجانب الإنتاجي لها. بحيث تقلصت الوظيفة الإنتاجية للأسرة بشكل ملموس نظرا لقيام مؤسسات أخرى بهذه الوظيفة (المصنع). فأصبحت هذه الأسرة استهلاكية أكثر منها إنتاجية. إن لم نقل ذات طابع استهلاكي فقط. إذ يرى بارسونز أن وظائف الأسرة التقليدية تقلصت لتشمل وظيفتين أساسيتين: التنشئة الاجتماعية الأولية وتحقيق الاستقرار للأفراد البالغين. فبعد أن كانت وحدة اقتصادية للإنتاج والاستهلاك ووحدة سكنية انتقلت وظيفة الإنتاج إلى مصنع متخصص. (فاتن شريف، 2006، ص 186) إذن، الأسرة الحضرية الحالية هي أسرة نووية (بنية و وظيفة) لا تسير وفقا للقيم التقليدية بل تتفاعل فيما بينها على أساس المصلحة المتبادلة. وإن كانت في بعض الأحيان تبدو عكس ذلك، فلأنها تستعمل المورث

التقليدي لخدمة مصالحها الشخصية والتي تتنافى في معظم الحالات مع المصلحة العامة للمجتمع. أو أنها ترجع إلى هذا التراث التقليدي بسبب ضغط الحياة الحضرية المادية للهروب من مواجهة المتطلبات العصرية. بحيث أصبح الفرد الجزائري يبحث عن مصلحته الشخصية التي لا تخدم مصلحة الجماعة و تتعدى على حرية الآخرين، في حين لا تتنافى المصلحة الشخصية مع المصلحة العامة في الغرب. بحيث يسمح للفرد بممارسة رأيه الخاص و الدفاع عن مصالحه الخاصة بدون التعدي على حريات الآخرين. و هذا ما ذهب إليه برهان غليون في قوله: «الفردانية التي تجسد روح الاستقلال الذاتي للفرد و حرية مبادرته، تحولت في الشرق إلى نزعة أنانية منحطة مضمونها نفى الآخر و السعي إلى المنفعة الشخصية الضيقة، و غياب أي شعور بالمسؤولية الجماعية». (برهان غليون، 2006، ص 220)

ولا يمكننا هنا التغاضي عن وضعية المرأة التي عرفت بدورها تغيرا واضحا واختلافا كبيرا عما كانت عليه في الأسرة التقليدية. فبعدها كانت حياتها الاجتماعية محددة بالثقافة الأبوية والتي منعتها من التعبير عن إرادتها ومن الاختلاط بالرجال، أصبحت اليوم حاضرة في الأعمال الاقتصادية والإدارية. (Lahouari Addi, 1999, page 127) فلم يعد يعتبر خروجها من المنزل إلى العمل أو لقضاء حاجات أخرى كالتسوق، التنزه... مخالفا لقيم و معايير المجتمع. كذلك أصبحت لها الحرية في التعبير عن آرائها و متطلباتها دون تدخل الرجل (الأب، الأخ، الابن)، فقد تركت لها مثلا حرية اختيار زوجها من خلال قبول أو رفض أي شخص يتقدم لخطبتها و أكثر من ذلك، يمكن لها أن تعبر عن عاطفتها اتجاه خطيبها قبل الزواج. و أيضا أن تمارس العمل الذي تطمح إليه و ترغب فيه على أن لا تتجاوز بعض القيم الأخلاقية المحددة من طرف والديها. في حين كان خروجها إلى العمل مرفوضا في الأسرة التقليدية من طرف الأب لاعتباره خروج ابنته مثلا انتهاكا لشرف العائلة. كما أنها أصبحت ذات سلطة معتبرة داخل أسرتها بعدما كانت تحت سيطرة سلطة الأب أو الزوج، نظرا لما حققته لنفسها من التقدم في المستوى الثقافي والمهني. فالمرأة العاملة لها سلطة على أسرتها أكثر من المرأة غير العاملة باعتبارها مساهمة في الإنفاق على أفراد الأسرة و تكاليف المنزل. بحيث تؤخذ مشورتها في أغلب القرارات العائلية المتخذة من طرف زوجها أو أبنائها. فدور المرأة كبنيت و زوجة و أم لم يعقها عن تحقيق طموحاتها و تغيير وضعيتها بتحرير نفسها من السلطة الأبوية دون الإخلال بالقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع. فموجات الحداثة التي اجتاحت المجتمع لم تكن هينة بل أدت إلى خلل في التعامل مع الدين، حيث أن ردة فعل الفرد الجزائري

اتجاه العناصر الحداثيّة المتغيرة كانت عن طريق الانتقاء الذي يحقق متطلباتهم الاجتماعيّة بهدف محاولة تغيير حياتهم إلى الأحسن حتى و لو كانت مخالفة للمبادئ الإسلاميّة. مما يجعلهم في صراع دائم للموضوع ضمن إطار هوية جزائريّة إسلاميّة. في حين أن ارتفاع ممارسة الطقوس الدينيّة الإسلاميّة يعبر عن عملية نفسية تهدف إلى منح الشعور بعدم تأنيب الضمير الجمعي الديني، لأنها تتركز أكثر على مستوى العبادات.

ثالثا: تحليل النتائج

تعتبر الأسرة من أهم الوحدات البنائية المكونة للمجتمع و من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعيّة فقد أصبحت في مواجهة تحديات جديدة، خاصة بعد عملية التصنيع و التحضر التي شهدتها المجتمع الجزائري بسبب تأثره بالحداثة الغربيّة. و كمجتمع إسلامي فمن واجب الأسرة تلقين أبنائها قيم و معايير إسلاميّة، حيث يلقي الآباء إبنائهم التعاليم الدينيّة الإسلاميّة و تعويدهم على ممارسة الطقوس الدينيّة كالصلاة و الصوم، و الأخلاق الحميدة كالطاعة و الصدق و إتقان العمل... إلا أن الأسرة الجزائريّة قد تقلصت وظائفها التربويّة و تركت هذه الوظيفة الأساسيّة لمؤسسات أخرى كالمدرسة و الشارع (جماعات الرفاق). و كذلك بسبب وسائل الإعلام و التكنولوجيا الجديدة التي قلصت من الاتصالات المباشرة بين الأسر حيث أصبحت غير مباشرة عن طريق الهاتف، الإيميل، وسائل التواصل الاجتماعي في حين أنه من تعاليم الإسلام صلة الرحم (ضعف روابط القرابة). بالإضافة إلى استهلاك الأبناء للمادة الثقافيّة الوافدة عليه بدون الانتقاء السليم المتوافق مع المبادئ الدينيّة الإسلاميّة كطريقة اللباس و طريقة الكلام و التواصل مع الآخرين. كذلك من بين الصعوبات التي تواجهها الأسرة الجزائريّة هو عدم قدرتها على التحكم في تربية الأبناء على الأخلاق الحسنّة مما أدى إلى اختلال القيم و المعايير الاجتماعيّة و الثقافيّة بالتالي انتشار الانحلال الخلقي.

نلاحظ مما سبق أنه فعلا للأسرة دور فعال في تشكيل هوية الفرد الدينيّة و الثقافيّة لكن و بسبب الحداثة التي مستها قد صعبت من عملية ترسيخ الهوية الإسلاميّة كما كانت عليه سابقا، إلا أنها لم تندثر و تنصهر كلياً في مجال الحداثة الغربيّة لازالت محافظة عليها و لو أنها ليست بالشكل المطلوب نظرا للتحديات التي تواجهها في محاولاتها للاستمرار و التكيف مع التغيرات الحداثيّة الجديدة بدون المساس بمقوماتها الأساسيّة.

خاتمة:

بالرغم من كون الأسرة الحديثة تتمثل في الأبوين اللذان يتوجب عليهما مساعدة الأطفال على تحقيق فردنتهم تدريجيا عبر مراحل، و في نفس الوقت تنشئتهم الاجتماعية بهدف الاندماج في المجتمع (Claude Dubar, 2007, page72) فإنه على هذا الأساس كان على الأسرة الجزائرية أن تسير لبلوغ طموحها نحو الحداثة و ذلك بالفعل ما وصلت إليه، لكن ليس بنفس الفعالية التي عرفتتها الأسرة الغربية. و ذلك لأن الحداثة التي نحاول نحن الاندماج معها حادثة غريبة موجودة و معروفة (نموذج موجود). في حين أن المجتمع الغربي هو من أوجدها و لم تكن معروفة لديه من قبل، حيث بدأت من تغيير الأفكار. و هذا التغيير في الفكر أدى إلى التغيير المادي. أما في الجزائر فقد حدث تغيير مادي أدى إلى تغيير فكري فوضوي أنومي. أي أن ما وصل إليه المجتمع الجزائري هو حادثة مادية تشمل البناءات العصرية الضخمة، التقنيات التكنولوجية المتطورة... بدون التغيير المناسب في الفكر. و نقصد بالتغيير المناسب للفكر أن نعطي ثقافة الشيء الجديد، بالتالي يعرف الفرد كيف يتعامل مع هذا الشيء (البيئة، التقنية، الأنظمة...) و كيف يسيره. و من هذا المنطلق الأفراد هم الذين يخلقون بيئتهم من خلال أفكارهم و ليس العكس. فلا يكفي تغيير البيئة المحيطة عن طريق التقنيات الجديدة لتغيير المجتمع. و هذا ما يعبر عنه بالفجوة أو الاختلال بين الفكر و المادة. فلا يمكن أن نأخذ جانبا و نترك الآخر. بل يجب انتقاء العناصر الثقافية الجديدة المتوافقة مع القيم الدينية الاسلامية للمجتمع الجزائري.

قائمة المراجع:

- 1- أبو بكر جابر الجزائري، (1964). منهاج المسلم عقائد و آداب و أخلاق و عبادات و معاملات، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 2- برهان غليون، (2006) اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية. المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الرابعة.
- 3- خواجة عبد العزيز، (2005). مبادئ في التنشئة الاجتماعية. دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران.
- 4- عبد الله الخريجي، (1990). علم الاجتماع الديني، رامتان، جدة، الطبعة الثانية.
- 5- عبد الله حمودي، (2015). الحداثة و الهوية: سياسة الخطاب و الحكم المعربي حول الدين و اللغة، المركز الثقافي العربي، المغرب الطبعة الأولى.
- 6- فارح مسرحي، (2006). الحداثة في فكر محمد أركون. منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى.
- 7- فاتن شريف، (2006). الأسرة و القرابة دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية. دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، الطبعة الأولى.
- 8- محمد علي محمد، (1987). الشباب العربي و التغير الاجتماعي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 9- مصطفى الأشرف، (2007) الجزائر: الأمة و المجتمع. ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- 10- محمد بومخلوف، (2001). التحضر. دار الأمة، الجزائر، الطبعة الأولى.
- 11-Claude Dubar, (2007). La crise des identités, L'interprétation d'une mutation. Edition Puf, Paris , 3ème édition.
- 12-Lahouari Addi, (1999). Les mutations de la société algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine. Edition la Découverte, Paris.
- 13-Pierre Bouvier, (2005) . Le lien social. Gallimard, Collection Folio Essais, Paris.